



نَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَا بِنَفْسِ الْقَدْرِ ، وَلَيْسَ الْمَازُومُ أَوْ الْمَهْمُومُ أَوْ الْمَرْيَضُ أَوْ الْمَظْلُومُ أَوْ مَنْ كَانَ فِي
الْبَحْرِ أَوْ فِي الْحَرَقِ بِأَحْوَاجٍ إِلَى رَبِّهِ مِنْ مَنْ هُوَ آمِنٌ مَنْعِمٌ صَحِيحٌ مَعْفُ

لَأَنَّا جَمِيعاً فَقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ نَفْسٍ ، وَلَأَنَّ الْبَلَاءَ لَيْسَ بِعِدَادٍ عَنْ أَحَدٍ ، وَلَا الْعَافِيَةُ مُضْمُونَةٌ لِأَحَدٍ
.. وَهُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْقَيُومُ ، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"

إِنَّ أَحَدَنَا لِيَحْتَاجَ أَنْ يَدْرِكَ حَقِيقَتَهُ الْذَّاتِيَّةَ ، وَحَقِيقَةَ قَدْرَاتِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ ، وَأَنْ يَدْرِكَ مَاهِيَّةَ آمَالِهِ وَمُنْتَهَاهَا ، لَثُلَّا يَتَكَبَّرُ أَوْ يَتَجَبَّرُ
وَلَثُلَّا يَنْسِي حَجْمَهُ فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْأَشْيَاءِ أَوْ التَّفَرُّدُ الذَّاتِيُّ بِالْمُسْتَقْبَلِ أَوْ حَتَّى الْقَدْرَةُ عَلَى تَسْبِيرِ شَيْءٍ مِنَ
الْحَيَاةِ .

مِنْ أَجْلِ ذَلِكِ يَحْتَاجُ أَنْ يَتَذَكَّرَ دُوماً أَنَّهُ فَقِيرٌ ضَعِيفٌ فَانٌ ، وَأَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى قَوِيٍّ عَزِيزٍ قَادِرٍ حِيٍ قَيُومٍ ، يَقُومُ بِشَأْنِهِ وَيَمْدُهُ
بِالْحَيَاةِ وَيَعِينُهُ بِالرِّزْقِ وَالْقُوَّةِ .

يحتاج أن يشعر أنه بغير ربه عاجز كل العجز أمام حركة الحياة من حوله ، وأن دوامتها قد تذيبه في مداراتها وتدفعه في مساراتها ، ولذلك فيجب أن يتوكى على رب عظيم رحيم ، يوجهه إلى سواء الاصراط ويهديه إلى محاسن المناهج والقناعات .

حتى في باب الحسنات والسيئات فبرغم كونه المرء مختارا ، فإن الهدایة إلى الحسنة توفيق من الله سبحانه وملائكة ، ولذلك أمرنا صلى الله عليه وسلم بقول " لاحول ولا قوة إلا بالله"

والمعنى الأعظم الذي ينبعنا عما سبق من شعور الفقر وال الحاجة إلى الله سبحانه يأتي من تدبر معنى اسمه سبحانه " الحي القيوم "

إنها اسمان جامعان لكمال الأوصاف والأفعال، فكمال الأوصاف في الحي، وكمال الأفعال في القيوم.

فالحي الذي له الحياة الذاتية ، الكاملة الدائمة التي ليس لها انقطاع ولا زوال، لا قبل ولا بعد ، تلك التي لم تستمد من مصدر آخر.

فهو دائماً عز وجل حي منذ الأزل وإلى الأبد، لم ينفصل عنه هذا الوصف أبداً تبارك وتعالى.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن اسم (الحي) يستلزم جميع صفات الكمال لله تبارك وتعالى، ولذلك كان يرى أن (الحي) هو اسم الله الأعظم، يقول: "فالحي نفسه مستلزم لجميع الصفات، وهو أصلها، ولهذا كانت أعظم آية في القرآن: ((اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيُّومُ)) فهو الاسم الأعظم؛ لأنَّه ما من حي إِلَّا وهو شاعر مجيد، فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتفي في الصفات بالتلزيم لاكتفي بالحي"

و(القيوم) تعبير عن كمال الأفعال، هو جل جلاله قائم بأمر الخالق برزقه ورعايته وحفظه، وما من شيء إِلَّا وإنْقَامَتْهُ بأمره وتدبيره سبحانه وتعالى.

وقال الطبرى : القيوم: القائم برزق خلقه وحفظه، وقال ابن كثير : القيوم: القييم لغيره، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غنى عنها، ولا قوام لها بدون أمره، ويقول تبارك وتعالى : وَمَنْ آتَيْهِ أَنْ تَقْوُمَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ.

وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا [فاطر:41] يعني: أن الله يمنعهما من الزوال والذهاب واللوعة، ولئن زَالَتَا إِنَّ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ [فاطر:41] يعني: ما يمسكهما أحد سوى الله تبارك وتعالى، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

هذه الحياة وتلك القيومية يصحبها رحمة بالغة ولطف بعباده في مقاديره كلها مهما رأى الناس من ألم فهو سبحانه لطيف بعباده : يوصل بره وإحسانه إلى العبد، من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها.

فلا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر وأن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، ولرب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثره فيه عطبك

وانظر إلى قوله سبحانه " إن ربى لطيف لما يشاء ، تجد أنه سبحانه أخبر أنه يلطف لما يريد ف يأتي به بطرق خفية لا يعلمها الناس ، واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإصاله الرحمة بالطرق الخفية

ومن هذا المعنى ما يبتلي به عباده من المصائب وأيامهم به من المكاره وينهاهم عنه من الشهوات ، هي طرق يوصلهم بها إلى سعادتهم في العاجل والآجل وقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

فهو سبحانه يفعل ما يفعله لما يريد من العواقب الحميدة والحكم العظيمة التي لا تدركها عقول الخلق مع ما في ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابقة والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته "

وكذلك فعله بعباده وأوليائه يوصل إليهم نعمه ويسوّقهم إلى كمالهم وسعادتهم في الطرق الخفية التي لا يهتدون إلى معرفتها إلا إذا لاحت لهم عوّاقبها وهذا أمر يضيق الجنان عن معرفة تفاصيله ويحصر اللسان عن التعبير عنه .

فإذا قام العبد بالصبر كما ينبغي انقلبت المحن في حقه منحة واستحالت البلية عطية وصار المكرور محبوبا فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه وإنما ابتلاه ليختبر صبره وعبيوديته.

المصادر:

المسلم